مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنْ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة

مُؤسّسة عُلوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الثانية– العدد الرابع

شَهْرُ رَمَضان - ١٤٣٨ هـ/ حَزِيران- ٢٠١٧ م

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)
قراءة في ضوء نظرية (بيرلمان) الحجاجية

Convenant of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him) to Al- Ashtar studies accordance to argumentation theory of Perleman.

أ. د محمد جواد حبيب البدراني

كلية التربية للعلوم الإِنسانية

جامعة الموصل

Prof. Dr. Mohammad Jawad Habeeb AL-Badrani

College of Education for Human Sciences

University of Mosul

ملخص البحث

يعد عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه على مصر مالك بن الحارث الأشتر النخعي واحداً من أبرز النصوص الإسلامية لشموليته واتساعه واحتوائه على اشتغالات متعددة تعالج شتى متطلبات الحياة الإنسانية وتعالج مختلف المناحي الفكرية، وتجلي عظمة الفكر العلوي الشمولي في وضع نظرية متكاملة لبناء الدولة ونظرية الحكم وتنظيم السلطات الدستورية وتوطيد مرجعياتها الفكرية.

تحاول هذه الدراسة تفكيك نصوص العهد ومحاولة فهمها على وفق معطيات نظرية (بيرلمان) الحجاجية التي سعت لإخراج الحجاج من الصرامة المنطقية إلى حرية الحوار العقلي المستند إلى آليات الإقناع.

إن الإقناع لدى بيرلمان يهدف إلى الحث على الفعل اقتناعاً لا اقناعاً، لأنه يرى أنّ الاقتناع شمولي دائم والاقناع فردي زائل؛ لذلك سعى البحث إلى توظيف منطلقات الحجاج عند (بيرلمان) وهي: الوقائع، الحقائق، الافتراضات، القيم، التراتبيات، المعاني، مطبقا إياها على نص العهد لينتقل بعدها إلى الكشف عن تقنيات الحجاج التي ذكرها (بيرلمان) ومدى إمكانية تطبيقها على نص العهد.

Abstract

Convenant of Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) to his alderman of Egypt the companion Malik bin Al-Harith Al-Nakhai is consider one of the most prominent Islamic text for, It`s comprehensiveness, increasing and containment of multiple uses which is treat various requirements of human life, it is also deal with different intellectual aspect.

The great Alawi thought is reflected in establishing an integrated theory of state building as well as, theory of governance, orginzation of constitution of intellectual reference.

This study attempt to deconstruct the text of convenant and try to understand them in accordance with the date of (argumentation theory of Pereleman) which sought to drive Al-Hajaj from logical rigor to open mental dialogue based on means of persuasion.

The persuasion of Pereleman is intended to the act convicition not convineigly. Because he believes that the convicition is comprehensive and permanent either, persuasion is individual and temporal, therefore the research aim to employ the legacies of Al-Hajaj at Pereleman theory, namely, the fact, assumption values, etiquettes, and meaning which is applied on the text of covenant and then moving to disclouse of Al-Hajaj technigues which are mentioned by Pereleman and how can be applied to the text of covenant.

المقدمة

تعد نظرية باليرمان الحجاجية واحدة من اهم نظريات الحجاج المعاصرة، وقد عرض هذه النظرية في كتابه (تصنيف في الحجاج- الخطابة الجديدة-) وهو كتاب شاركه فيه زميله (تيتيكاه)، وطبع في طبعات عديدة وترجم للغات متعددة، فضلا عن مؤلفاته الأخرى في الحجاج، وتعد نظريته الحجاجية من أكثر نظريات الحجاج تركيزا على الاقتناع لا الإقناع.

يعرف باليرمان وزميله الحجاج بأنه (تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم.. فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الاذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على أنجاز العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الاقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة)[1].

إن تعريف بيرلمان للحجاج يتركز على تحديد الوظيفة التي يؤديها وهي: (حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع)[2]، فالهدف الاساس الذي يرومه المحاجج كسب المتلقي والتأثير فيه واستمالته إلى الهدف المطلوب.

يؤكد باليرمان في كتابه امبراطورية البلاغة أنَّ الحجاج يهدف إلى التاثير ثم العمل حيث إن هذا التاثير ناتج من خلال استخدام العقل والادراك لما يحيط بالمتلقي من حجج اي تاثير ناجم من إرادته وليس تاثيرا ناتجا من الإجبار أو المناورة[3].

فالمحاجج(بكسر الجيم) يسعى لتعزيز الاقتناع لا الإقناع في ذهن المحاجج (بفتح الجيم) وهذا ما دفع

عبد الله صول إلى القول (إن العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة، وإنما هو عمل هيأ له العقل والتدبر والنظر، وهكذا تكون قوى الإنسان (العقل والهوى) عندهما قوة متضامنة متفاعلة لا قوى منعزلة عن بعضها البعض[٤]. مما يجعل الاقتناع بموضوع الحجاج اقتناعا تاما لا مناص منه.

يعد عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر واليه على مصر (رضوان الله عليه) من أهم الوثائق وأكثرها شمولية وعمقا في التاريخ الفكري الاسلامي، إذ تضمَّن العهد تفصيلات وافية في السياسة العامة للدولة ونظامها المالي والاقتصادي وترتيباتها الدفاعية وعلاقاتها الخارجية وتفعيل الرقابة الذاتية على سلطات الدولة ورقابة السلطة العليا ورقابة السلطات على بعضها وكيفية معالجة التجاوزات والقضاء على التفاوت الطبقي ومراعاة الظروف العامة للمواطنين ومعاملتهم بالحسنى فضلا عن وضع الأسس الدقيقة للتطوير والبناء، ولأهميته الكبرى فقد حظي بدراسات عديدة ومتنوعة، ولذلك سعينا إلى دراسة عهد الإمام (عليه السلام) على ضوء نظرية باليرمان للتعرف على القدرة الحجاجية لهذا النص.

أشار باليرمان أن للخطاب قبل استقامته كيانا مشكلا من تقانات حجاجية يواجه بها المتكلم المخاطب لايقاع التصديق مدارها على منطلقات حجاجية ينطلق منها المحاجج بوصفها مسلمات[٥]، وتهدف هذه المقدمات إلى تعزيز القناعة لدى المتلقين، وتكون المثابة لانطلاق المحاجج واهمها:

(١) الوقائع:

تمثل الوقائع ما هو مشترك بين

عدة اشخاص أو بين جميع الناس، ولا تكون عرضة للدحض والشك وتنقسم الى وقائع مشاهدة وأخرى مفتوحة، لكن ما يجمعها تسليم الجمهور واقتناعه بصحتها[٦].

ولعل أول تلك الوقائع التي نلاحظها في نص الإمام علي (عليه السلام) لمالك مقدمة العهد التي ورد فيها (أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد احد إلا باتباعها ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنَّه جل اسمه قد تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَه، وإعزاز من أعزه)[٧].

لقد ابتدأ الإمام (عليه السلام) العهد بذكر وقائع مشتركة لا يشك في مدى صحتها ولا يتنازع في وجوبها اثنان من المجتمع الإسلامي المخاطب وهي وجوب تقوى الله واتباع دينه الذي يحقق السعادة في الدارين ولأنَّه في معرض تثبيت حجية الوقائع التي سنتحدث عنها ابتدأ الإمام (عليه السلام) بحقائق راسخة مصدرها القرآن الكريم فهو يتناص مع العديد من الآيات التي تجعل تقوى الله مصدر سعادة الدارين منها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد ٢٨] ومع قوله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ومع قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه

فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان».

لقد وضع الإمام (عليه السلام) الحقائق الثابتة المتفق عليها أمام أعين المتلقين كي يتدرج معهم في سلسلة الاقتناع، فهو يسعى لتعزيز الإقناع الذي يتناول الاعتقاد لا المعرفة حول الحق والباطل[٨]، إذ إن المتلقي الإفرادي والجمعي يؤمن بحجية القرآن والنص النبوي الشريف، لكن مسعى الامام (عليه السلام) يتمثل في ترسيخ هذا الاعتقاد والعمل بموجبه لا مجرد الاكتفاء بمعرفته، لذلك سعى لتثبيت الواقعة الاعتقادية قبل البدء بعرض الحقائق.

(٢) الحقائق:

وهي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع ومدارها على نظريات علمية، أو فلسفية، أو دينية حيث يعمد المحاجج إلى الربط بين الوقائع والحقائق ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة كأن يضاف التيقن من الواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشاء التيقن بالواقعة (ب)، ومعنى ذلك إن التسليم بالواقعة (أ) وبالنظرية (س) يعني التسليم بالواقعة (ب).

يقول الإمام علي (عليه السلام) في عهده «إن شَرَّ وزرائك من كان قبلك للأشرار قبلك وزيرا، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة، فانهم أعوان الأثمة وإخوان الظَّلَمَةِ، وأنت واجدٌ منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم وآثامهم»[٩].

إن الإمام (عليه السلام) يتدرج في تعزيز الحقائق وترسيخها في ذهن المحاجج فالإمام (عليه السلام) حين يدعو مالكا إلى عدم الاستعانة

بوزراء كانوا قبله وزراء للاشرار فهو يؤكد حقيقة أن وزير الحاكم الشرير هو شرير حتما؛لأنَّه عونه على الإثم وأداته في تنفيذ ذلك، وبهذا ينتقل إلى الحقيقة التالية وهي مادام الوزراء أشرارا، وعملوا مع حاكم شرير فهم بالتاكيد إذا عاودوا العمل مع الحاكم الجديد فإنهم يستدرجونه إلى طريق الشر بالتدرج لذلك فمن الواجب عليه عدم الاستعانة بهم، وقد استثمر الامام (مفهوم التدرج الحجاجي والخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التدرج في توجيه الحجج..... وإحالة هذا المحتوى على مرجع معين)[10] ليزيد قناعة المتلقي بتلك الحقائق التي يروم أن يهدي الناس إليها ويعلم الحكام على تطبيقها.

(٣) الافتراضات:

(وهي شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة، ولكن الإذعان إليها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي مسار الحجاج عناصر أخرى تقويها)[11].

ولعل ذلك يعود لكون الافتراضات غير يقينية بل تحتمل التصديق والتكذيب فضلا عن أن (الافتراضات ليست ثابتة بل هي متغيرة تبعا للوسط والمقام والمتكلم والسامعين؛ لأنَّها تقاس بالعادي والعادي، مفهوم مجرد يختلف باختلاف القدرات والامكانات الفردية والجماعية)[12].من هنا فإن الافتراضات لا ترقى لمستوى اليقين لذلك تحتاج الى تعزيز بأدلة تزيد من رسوخ الاقتناع لدى المستهدف بالحجاج، يقول الإمام علي (عليه السلام) في العهد: «لا تطيلن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم

ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وانما الوالي لايعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليس على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين، اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تبديه ، او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسالتك اذا ايسوا»[١٣].

إن الإمام (عليه السلام) مدرك لحقيقة قبح احتجاب الحاكم عن رعيته وذلك لأنَّه يضع هوة بين الحاكم والمحكوم، ويعزز الفرقة بينهما فيظل الحاكم معتمدا على أراء من حوله من حاشية، لا يعرف أحوال الناس واحتياجاتهم فتكون سياساته بمجملها فاشلة وقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال «ما من امام او وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسالة الا اغلق الله ابواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته»[١٤].

إن ابتعاد الحاكم عن شعبه مستقبح عقلا ونقلا، بيد أن الامام (عليه السلام) يسعى ليعزز تلك القناعة لدى السامعين يضع الامر بين احتمالين لا ثالث لهما، وهو أن ابتعاد الحاكم لا يجلب له الفائدة بل الضرر، فالحاكم أمَّا أن يكون كريما يعطي الناس حقوقهم ويبذل لهم من عطاياه، أو بخيل يمنع عطاياه عن الناس وفي كلا الحالين فأنَّ الحجب غير نافع له إذ في الأولى ما مسوغ حجبه عن الناس إذا كان سيعطيهم، وفي الثانية إنَّ الناس إذا جربوه ورأوا بخله وتقتيره يأسوا من عطائه فلا يطالبونه بالعطاء، فلم يعد هناك مسوغ مقنع

للجمهور في كلا الحالين، وهكذا نجد أن الإمام(عليه السلام) نجح في الانتقال من الفرضية إلى توليد القناعة الراسخة على وفق الأسس التي وضعها باليرمان.

القيم:

يرى باليرمان (أن القيم عليها مدار الحجج بكل ضروبه.... فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من أراء، والقيم نوعان قيم مجردة ومحسوسة، فالمجردة من قبل الحق والمحسوسة من قبيل الوطن)[١٥]، ومما لاشك فيه أن القيم المتعارف عليها مهمة جدا في الحجاج وتعزيز بنيته فالحجاج (فعالية تداولية جدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية انشاء موجها بقدر الحاجة وهو أيضا جدلي لأن هدفه اقناعي قائم بلوغه على إلتزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة)[١٦]، لذلك فان الحجاج يستثمر توظيف القيم في تعزيز بنية الاقناع لأن القيم ثوابت في التفكير الاجتماعي الجمعي، ولقد وظف الإمام علي (عليه السلام) المنظومة القيمية في إقناع متلقي عهده إذ يقول:

«ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها، واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك، واقامة ما استقام به الناس قبلك»[١٧].

مما لاشك فيه ان المنظومة القيمية تعد من الأمور التي تحدد مكانة المجتمع ومدى تطوره الحضاري ذلك أنها نتاج تجربة اجتماعية امتدت أجيالا عديدة، والقيم تختلف باختلاف المجتمعات وتتطور بتطورها، فهي في حركة دينامية مستمرة، ويرى ساجيف أن القيم الإنسانية أهداف مرغوبة تتباين في أهميتها، وتقيد كمبادئ توجيهية في حياة الانسان، وتضيف كارين أونير أن القيم أفكار معيارية توجه السلوك وتزوده بمعايير خارجية وداخلية نحو ما يكافح الانسان من اجله[١٨].

يسعى الإمام (عليه السلام) لتعزيز تلك القيم ويستند إليها فيوجه باتباع سنن الصالحين من مجايلي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعاصريه لأنها اجتمعت عليها الأمة الإسلامية وتعزيزا لهذه القيمة الراسخة في اذهان المخاطبين ويستند إلى الحديث النبوي الشريف «من سن في الإسلام سنة حسنة فله اجرها واجرمن عمل بها من غير ان تنقص اجورهم شيء ومن استن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء»[١٩].

إن الإمام(عليه الاسلام) بتعزيزه لهذه القيمة الاجتماعية الراسخة يجعل من سنة الرسول الأعظم قيمة عظمى ومما ارتضاه في عصره عرفا اجتماعيا لا يصح تغييره فقد بنيت عليه الأمة ونشات عليه بنية دولة الرسالة.

الهرميات:

يرى باليرمان أن القيم ليست مطلقة وإنما هي خاضعة لهرمية ما، فالجميل درجات، وكذلك النافع والهرمية بعد ذلك نوعان مجردة مثل اعتبار العدل افضل من النافع،

مادية محسوسة كاعتبار الانسان اعلى درجة من الحيوان... أن هرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها، فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير سامعين عدة، فان درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور إلى أخر، وهو ما يعني أن القيم درجات وليست كلها في مرتبة واحدة وإن مايميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها[٢٠].

حافظ الإمام علي (عليه السلام) في عهده على الترتيب الهرمي للقيم المشار إليها، إذ ابتدأ بالقيم ذات الأولوية منتقلا منها للقيم الاقل قيمة فهو يقول:

«اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادنى للنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام.. ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن.. واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين، واياك والمن على رعيتك بإحسانك او التزيد في ما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك .... واياك والعجلة بالأمور قبل اوانها او التسقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت ، فضع كل امر موضعه واوقع كل امر موقعه»[٢١].

راعى الإمام ترتيب الأوليات بطريقة هرمية فقد اشار للدماء كونها الأهم وأعلى الهرم وقمته في تسلسل الاولويات لتعلقها بحياة الناس

واستمرارية النوع البشري، لذلك فقد أولاها الإمام أهمية عظيمة جاعلا اياها بعد العقيدة مباشرة، اذ ان الضروريات التي أهتم الدين بالحفاظ عليها هي حفظ الدين، حفظ النفس، حفض العرض، حفظ النسل، حفظ المال.

لذلك اهتم القران الكريم بها اهتماما بالغا فقد قال تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠]

وقال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف «لزوال الدنيا عند الله اهون من قتل مؤمن بغير حق» وحرم الاسلام قتل حتى الذمي (غير المسلم) مالم يحاد الله ورسوله او يرتكب جرما فقد قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) «من قتل قتيلا من اهل الذمة لم يجد ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما»[٢٢].

لقد حذر الإمام علي (عليه السلام) واليه من محاولة توطيد اركان دولته بسفك الدماء موضحا له ان سفك الدماء العامل الأساسي

في سقوط الدول واندثارها وضياعها، مؤكدا له انه لن يحابيه ولن تأخذه في الله لومة لائم مهددا اياه بانه لن ينفعه عذر عند الله وعند الإمام إن قتل إنساناً عمدا، ثم يحذره من الاعجاب بالنفس لأن الاعجاب بالنفس يفقد العمل قيمته وقد قيل(الاعجاب بالنفس والغرور مفتاح كل الشرور) ولذلك نقل عن الرسول قوله «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» لان الاعجاب بالنفس يقود الى الغرور ويؤدي الى التسلط، ثم يحذر واليه من المنَ على الرعية بما قدم لها او التزيد بما قدم وقد وصف الله تعالى المؤمنين بانهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٢- ٢٦٣] والمن هو النعمة التي يسديها الشخص لغيره بهدف التقريع والتعيير بها وقد روي عن أبي ذر عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) انه قال «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم :المنان اذا اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»[٢٣]، ينتقل بعد ذلك الإمام (عليه السلام) للنهي عن العجلة بالأمور، ويلاحظ ان الاسلام نهى كثيرا عنها والعجلة طلب الشيء وتحريه قبل اوانه ويرى الفيروزابادي ان العجلة من مقتضيات الشهوة لذلك ذمت في القران بأكمله وقوله تعالى ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤] فالعجلة وإنْ كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود فقال تعالى ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي

فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقال تعالى ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] وهكذا رتب الإمام الأولويات واستطاع أن يقنع المتلقي بحجاجيته ويدخله في دائرة الاقتناع.

المعاني والمواضع:

يستخدم المحاجج القيم وهرميتها للرفع من درجة اذعان الجمهور كما له أن يستخدم مقدمات أعم منها وتسمى المعاني، فالمعاني عند شيشرون عبارة عن مخازن للحجج أو مستودعات حجج.... ومن اهم المواضع:

(أ) **مواضع الكم**: وهي التي تثبت أن شيئا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية مثل قول ارسطو إنّ العدل والعفة أفضل من الشجاعة لكون العدل والعفة نافعين دائما في حين أن الشجاعة لاتصلح إلا في أوقات معينة.

(ب) **مواضع الكيف**: وتستمد وحدانيتها وتفردها من مثل الحقيقة الالهية والحق الذي يعلو ولا يعلى عليه.

يقول الامام علي (عليه السلام): «وليكن أحب الأمور إليك واوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف من رضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للأنصاف، وأسال بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك اليهم وميلك معهم»[٢٤].

نلحظ أن الإمام علي (عليه

السلام) قدم الأفضل على المفضول وقدم العام الدائم على غيره، لذلك جعل العدل أساسا في تعامله لأن العدل اسم من اسماء الله الحسنى وهو إعطاء المرء ماله وأخذ ما عليه، وقد عد القرآن الكريم العدل أساسا للرسالات السماوية جميعا فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] وقال عز من قال ايضا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وكان العدل أساسا في التعامل النبوي وتعامل آل البيت الكرام لذلك فقد ركز عليه الإمام في عهده ثم انتقل لتوضيح دور العدل في استقرار البلد ورضى الرعية، ويشير الإمام بعد ذلك إلى قاعدة مهمة في التعامل السياسي تاتي بمرتبة ثانية بعد العدل وهي مراعاة عامة الناس وعدم الاجحاف بحقهم استرضاء للنخبة (الخاصة)وينبه إلى أن الخاصة أكثر إرهاقا للحاكم من العامة فهم الأكثر مؤونة، والأقل معونة يبحثون عن مآربهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ويتخلون عن الحاكم بل عن البلد بأسره حينما يفقدون امتيازاتهم ومصالحهم ورغباتهم ومطامعهم، ويحث على رضا العامة لأنهم الأمة والمجموع الذي يمثل الشعب والقادر وحده على مواجهة الاعداء مما يستوجب

مراعاتهم.

ولعل ما يمثل مواضع الكيف في العهد قول الإمام علي (عليه السلام) «وليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال (صل بصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما)».

يدرك الإمام أن حقوق البارئ على عباده فوق حقوق البشر فحق الله على العباد لا يعدله حق عبد لذلك حث واليه على أداء حقوق الله وفرائضه فهو الواحد الذي لا عديل له ولا كفؤا لربوبيته لذلك فالواجب على العبد أن يجتهد في عبادته ورضا ربه، قال معاذ بن جبل كنت ردف رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على حمار يقال له غفير فقال «يا معاذ اتدري ماحق الله على العباد ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله عز وجل ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قال قلت يارسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا»[٢٥].

بعد ذلك ينتقل للحديث عن الصلاة بوصفها الحبل الممتد بين الارض والسماء وهي اساس صفاء الروح واطمئنان الفؤاد والزاجر الناهي عن ارتكاب المحارم قال تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] والصلاة

أهم الأعمال فهي المنجية من النار والمكفرة للذنب، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): «ما بين المسلم وبين ان يكفر الا ترك الصلاة الفريضة متعمدا او يتهاون بها فلا يصليها»[٢٦] وعن السيدة الزهراء (عليها السلام) أنها سألت اباها (صلى الله عليه واله وسلم) فقالت: «يا ابتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء قال يافاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله ببخمس عشر خصلة ست منها في دار الدنيا وثلاث عند موته وثلاث في قبره وثلاث في القيامة إذا خرج من القبر، فأما التي تصيبه في الدنيا فالاولى يرفع الله البركة عن عمره ويرفع الله البركة عن رزقه ويمحو الله سيمياء الصالحين من وجهه وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه ولا يرتفع دعاؤه للسماء والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحينأ وأما اللواتي تصيبه عند موته فأولاهنَّ أن يموت ذليلا، والثانية يموت جائعا، والثالثة يموت عطشان، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه، وأما اللواتي تصيبه في قبره فاولاهنَّ يوكل الله به ملكا يزعجه في قبره، والثانية يضيق عليه قبره والثالثة تكون الظلمة في قبره واما اللواتي تصيبه اذا خرج من قبره فأولاهن ان يوكل الله به ملكا يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون اليه والثانية يحاسبه حسابا شديدا والثالثة لا ينظر الله اليه ولا يزكيه وله عذاب اليم»[٢٧].

ومع أهمية الصلاة فان الإمام (عليه السلام) يؤكد على الأشتر أن لا يشدد بها ويبالغ في تطويلها مستندا إلى وصية الرسول الأعظم بالصلاة على وفق صلاة أضعف القوم تقديرا من الله ورسوله للأحوال التي يمر بها العبد وما يعانيه بعض المصلين من علل ترهقهم معها اطالة الصلاة وتؤذيهم.

بعض الخصائص الاسلوبية عند باليرمان واثرها الحجاجي:

الاطناب:

يرى باليرمان أن التطويل والترديد تزيد من حضور الحجة في ذهن السامع لأن (الأسلوب العجل يدعم توجه الخطاب الاستدلالي والأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال ويحرك عواطفهم)[٢٨] تجاه الاقتناع، وقد استند بيرلمان إلى قول فيكو (إن القائم بكلامهم على الايجاز والقصر لا يهزون القلوب الا هزا خفيفا ولا يؤثرون الا قليلا)[٢٩].

إن الاطناب من أساليب العربية المعروفة التي عني العرب بها كثيرا ووردت في كتب بلاغتهم وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة[٣٠]، ولا نريد هنا الوقوف عند فوائد الاطناب وأنواعه فقد اهتمت بذلك كتب البلاغة لكن الذي يهمنا وظيفته الحجاجية التي تعمل على تعزيز الفكرة في ذهن المتلقي وزيادة الاقتناع بها.

فالإطناب يحقق وظيفة حجاجية من خلال تعزيز الفكرة وتزيينها يقول الإمام علي (عليه السلام) في العهد: «فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ورسوله ولإمامك وانقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويسرع الى العذر ويراف بالضعفاء وينبو على الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف»[٣١].

ان الإمام (عليه السلام) يطنب في وصف الجنود وهذا الاطناب مقصود- كما يبدو لنا- بهدف تعزيز القدرة الحجاجية وتثبيت الفكرة في ذهن المتلقي ليؤكد على أن الجند هم عماد الدولة وأساس الدفاع عن الدولة لذلك يجب الحفاظ عليهم وتعزيز قدراتهم القتالية واحسان اختيارهم كي يكونوا سندا في الملمات الكبار، ولذلك أوضح تفصيلات الجندي المثالي لتكون حجته ابلغ ووقعها أكثر تاثيرا.

التكرار:

يعتمد التكرار وسيلة لابراز شدة حضور الفكرة إذ يقول ليبرمان يكون التكرار التقنية الأكثر بساطة لانشاء هذا الحضور، فتكرار الفكرة تجعل المتلقي وكانه يعيشها إلى جانب ابراز شدة حضور الفكرة فان التكرار يظهر الملفوظ الثاني للكلمة محمل القيمة وهذا يعني ان الوظيفة الحجاجية للتكرار تظهر من خلال الملفوظ الثاني.

والتكرار من الامور التي عنيت بها العربية في جميع اطوارها والتكرار الاعادة وهو في الاصطلاح البلاغي (ان ياتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء اكان متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثاني فان كان متحد الالفاظ والمعاني فالفائدة في اثباته تاكيد ذلك الامر وتقريره في النفس وكذلك اذا كان المعنى متحدا، وان كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا فالفائدة في الاتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين)[٣٢].

ومن هنا ندرك (ان التكرار من الاسس والمنطلقات الاسلوبية التي تسهم في اضفاء متانة خاصة على الاسلوب بما يجعل منه اداة ذات وظيفة واضحة في تراكم الدلالات الشعورية واللاشعورية)[٣٣] التي تعزز فكرة الحجاج وتزيد ثباتها في ذهن المتلقي.

يقول الإمام علي (عليه السلام): «وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم.. وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اضر بالبلاد واهلك العباد»[٣٤].

إن الإمام (عليه السلا) هنا يحاجج في مسالة الاصلاح وبخاصة اصلاح

الاعمال التي تؤدي الى قوة البلد اقتصاديا ولا يتم ذلك الا بتواشج الزراعة والصناعة والتجارة ليكون الشعب مرفها اقتصاديا يستطيع دفع الخراج وهي ضريبة الدولة، ولقناعة الامام التامة بان الاصلاح سلسلة متكاملة لا تنفك حلقاتها ولا تتم احداها من دون الأخرى يلجأ إلى تكرار كلمة الصلاح ومشتقاتها وكلمة العمارة لارتباطهما مع بعضهما وتكاملها ، وبذلك فقد أدى التكرار وظيفته الحجاجية واستطاع تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي وزيادة قناعته بها.

اللفظ الحسي:

من المؤكد ان استخدام اللفظ الحسي أكثر تاثيرا من في المتلقي من اللفظ المجرد لان الصورة تكون اكثر وضوحا وتاثيرا، ومن هنا رأى بيرلمان (ان اللفظ الحسي يساهم في حضور الصورة في الذهن والتاثير على الاحساس مما يؤدي الى التسليم والاذعان للفكرة كقولنا اخترقت الرصاصة صدر الرجل بدل القول قتل الرجل فكأن المتلقي عاش المشهد[٣٥].

يقول الامام علي (عليه السلام) «واجعل لرأس كل امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشقق عليه كثيرها»[٣٦].

ان الامام علي (عليه السلام) يجعل لكل امر رأسا وقد اختار لفظة الرأس وهي لفظة حسية ليزيد ثبات الحقيقة في ذهن المتلقي فمن المعروف ان الراس عماد كل جسد وهو الذي يقود البدن ويتحكم بتصرفاته.

ان تطبيق نظرية بيرلمان على نص الامام علي (عليه السلام) يثبت ان نص الامام يصلح لكل العصور والازمنة وهو نص حي تدعمه نظريات الالسنية والنقد المعاصرين، ولنا وقفة اطول مع هذا الموضوع في قادمات الايام.

الهوامش

(١) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ١ص ١٣.

(٢) مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: ص ٢٦٧

(٣) الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الاثير ص٢١.

(٤) الحجاج في القران من خلال اهم خصائصه الاسلوبية ٧ص٢٩.

(٥) ينظر اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية: ٣٠٧.

(٦) نفسه.

(٧) عهد الامام علي (عليه السلام): ٨- ٩.

(٨) في بلاغة الخطاب الاقناعي: ص٢٤.

(٩) عهد الامام علي (عليه السلام): ١٥.

(١٠) استراتيجية الخطاب الحجاجي: ص ٤٨٩.

(١١) في نظرية الحجاج: ٢٤.

(١٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة: ص ٢١.

(١٣) عهد الامام علي عليه السلام): ٣٩.

(١٤) سنن الترمذي ١/ ٢٤٩.

(١٥) اهم نظريات الحجاج / ٣١١.

(١٦) في اصول الحوار وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠ص ٦٥.

(١٧) عهد الامام علي (عليه السلام): ١٧- ١٨.

(١٨) ينظر البناء القيمي وعلاقته بالتنشئة ص ٦٥.

(١٩) جامع احاديث الشيعة: ١٤/ ٢٧.

(٢٠) في نظرية الحجاج ٢٤٢.

(٢١) عهد الامام علي (عليه السلام): ٤٠- ٤١.

(٢٢) السنن الكبرى حديث ٦٧٤٣.

(٢٣) وسائل الشيعة ١٧ / ٤٢٢.

(٢٤) عهد الامام علي (عليه السلام): ١٣.

(٢٥)

(٢٦) وسائل الشيعة ٤/ ٤٣.

(٢٧) مستدرك الوسائل ٣/ ٢٤.

(٢٨) الحجاج اصوله ومنطلقاته ٣٣.

(٢٩) ينظر الحجاج في المثل السائر٢٦.

(٣٠) المثل السائر ٢/ ٣٤٤.

(٣١) عهد الامام علي (عليه السلام): ٢٠.

(٣٢) معجم المصطلحات البلاغية ١/ ٢٨٧.

(٣٣) جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب / ١٥٠.

(٣٤) عهد الامام علي (عليه السلام): ٢٧-٢٨.

(٣٥) ينظر الحجاج في المثل السائر: ٢٧.

(٣٦) عهد الامام علي(عليه السلام).

المصادر والمراجع

(١) استراتيجية الخطاب الحجاجي:أ. د. بلقاسم دفة، مجلة المخبر،جامعة بسكرة، الجزائر، ع٦ لسنة ٢٠١٣.

(٢) اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم:عدة مؤلفين، اشراف حمادي صمود، مطبعة الجمهورية التونسية ٢٠١١.

(٣) البناء القيمي وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية: ابراهيم السيد احمد، جامعة الزقازيق، مصر ٢٠٠٥.

(٤) جامع احاديث الشيعة: اقا حسين الطباطبائي البروجردي، دار الاولياء بيروت، د.ت ٤.

(٥) الجامع الكبير: ابو عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي ١٩٩٦.

(٦) جماليات التشكيل الايقاعي في شعر السياب: أ. د. محمد جواد حبيب البدراني، الدار العربية للموسوعات ٢٠١٣.

(٧) الحجاج في البلاغة المعاصرة، سالم محمد الامين، دار الكتاب الجديد، بيروت ٢٠٠٨.

(٨) الحجاج في القران من خلال خصائصه الاسلوبية: د. عبد الله صولة، ط٢، دار الفارابي، بيروت ٢٠٠٧.

(٩) الحجاج في كتاب المثل السائر: نعيمة يعمرانن، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري الجزائر ٢٠١٢.

(١٠) السنن الكبرى: احمد بن شعيب النسائي، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ٢٠١١.

(١١) عهد الامام علي لمالك الاشتر: مطبعة الاداب في النجف الاشرف ١٩٧١.

(١٢) في بلاغة الخطاب الاقناعي:د. محمد

العمري، ط٢، افريقيا الشرق بيروت ٢٠٠٢.

(١٣) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات: عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس ٢٠١٢.

(١٤) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الاثير، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة ١٩٧٦.

(١٥) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: الميرزا حسين اللوري الطبرسي، مؤسسة ال البيت د.ت.

(١٦) مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته: عباس خشاني، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر العدد السادس لسنة ٢٠١٣.

(١٧) معجم المصطلحات البلاغية المعاصرة: د. احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥.